

## شعر بدر شاكر السياب "مقاربة سيميائية"

Semiotics in poetic discourse at Bader Shaker Siyab.

د/ حنان بومالي .

المركز الجامعي ميلة.

تاريخ القبول: 2018 /02 /13

تاريخ الإرسال : 2017/12/05

## الملخص:

in every creative text. Semiotics seems to be a method that bestows upon the critic wider space for thinking and more freedom for analysis, and charges him with more responsibility because it requires understanding, vision and interpretation. This is because the concept of semiotics is one of the most prominent methodological concepts that gave birth to modern approaches, and it is linked to the methodological theory of semiotics. It has equally been the subject of modern lessons of criticism, provided them with new ways of reading, and more profound, multiple and divergent unlikeness, worked on the intensity of the text, the profoundness of its layers, the richness of its thresholds and meaning, and the problem of its discourse. This study is supposed to expose the ability of the Semiotic Method to approach the Arab contemporary poetic text by semiotically reading the poetry of Badr Shaker Siyab on the basis that the analysis goes with the semiotics of communication, reading with semiotics of significance, and repetition with semiotics of culture proceeding to semantic and descriptive interpretation..

إن مفهوم الحدائثة دفع النقاد إلى استثمار علوم اللسان والنقد الأدبي من أجل مقارنة النص الشعري بمنهج يسمح بتحديد أدبية الخطاب وبؤرة الفعل الشعري في كل نص إبداعي، ويبدو أن السيميائية منهج يسمح للنقاد بمدى أوسع من التفكير وحرية أكثر من التحليل ويلقي عليه مسؤولية أكبر، إذ يتطلب الفهم والرؤية والتأويل. ولقد غزت الدرس النقدي الحديث ووفرت له سبل قراءة جديدة ومغايرة أكثر عمقا وتعددا، راهنت على كثافة النص، وعمق طبقاته، وغنى عتباته، وثراء معناه، وإشكالية خطابه، ولعل هذه الدراسة أن تكشف قدرة المنهج السيميائي على مقارنة النص الشعري العربي المعاصر من خلال قراءة شعر بدر شاكر السياب قراءة سيميائية.

**Abstract :**

The concept of modernism has pushed critics to invest in the science of linguistics and literary criticism in order to approach the poetic text in a way that allows to define the literariness of discourse and the focus of the poetic act

\*\*\* \*\*

تحركت القصيدة المعاصرة نحو مجالات جديدة تؤلف فيه أنموذجها وتنحت طرازها الجديد، وهي تجرب مستويات تعبيرية متعددة ومتنوعة في السبيل إلى تحقيق جدتها النوعية والأجناسية، بوصفها مسارا فنيا آخر يعكس وعيا ثقافيا لقيمة القول الشعري ووظيفته.

ولم يعد الشاعر الحديث بمنأى عن كل التطورات التي حصلت وتحصل في شتى ميادين العلوم والمعارف؛ ساعيا في ذلك إلى الإفادة الممكنة والمتاحة في قابلية هذه العلوم والمعارف على تقديم واقتراح مقاربات علمية ومعرفية ذات تأثير على الشكل الفني وطبيعته وكيفيته تتيح للقصيدة فرصة أفضل لتطوير إمكاناتها وتحسين أدائها ودعم أدواتها وآلياتها في العمل والإنتاج والتوصيل والتأثير.<sup>1</sup> ولقد انعكس هذا الاتجاه لدى شعراء هذه الحركة المعاصرة في حرصهم الشديد على « إجراء تغييرات كثيرة في عناصر القصيدة العربية، حتى تتميز في هذا التلاحق بغناها وقدرتها على تجاوز المألوف المكرور، وكانت محاولاتهم في مقارنة الشكل الغربي، تمتزج مع الحساسية الشعرية العربية المبنية عبر عشرات الأجيال بإيقاعها المعروف ».<sup>2</sup>

أولا- ما قبل البدء.

للقصيدة المعاصرة دور معرفي كبير في إبراز المنعطف السحري والجمالي؛ ولقد بقي الشعر المعاصر ينشد الانفتاح على كل المناهج الشعرية « ليستطلع قيما ومفاهيمها جمالية جديدة تسهم في رفد عملية الاتصال الدائمة بالمطلق في المشروع التفكيري الذي يؤكد مساره القصدي، وهو التفجير المفهومي عند الشاعر بشروطه الجمالية لكي يضع النهايات الحقيقية بشأن الاحتدام والالتحام في أجمل متصل رؤيوي يقرب بين الذات والموضوع، أو نحو ذلك المنحى التاريخي الذي ينتسب له الشعر والوقوف عند تركيبته الفكرية بأعلى درجة من العبقرية لتشكل الوقائع من عناصر ابتكارية مبدعة؛ ترسم فضاء القصيدة بأدق ما عرف من ألوان وفرشاة، ومن صفة جمالية العبقرية الشعرية ».<sup>3</sup>

الأمر الذي جعل النقاد يتسابقون في البحث عن أنجع طريقة لتفجير هذه القصيدة المعاصرة، واكتشاف خباياها، فتناولوها بالبحث والإجراء في ضوء مقاربات عديدة

اعتمدت المناهج السياقية ( المنهج التاريخي والنفسي والاجتماعي... )، و المناهج النصانية (كالبنوية والأسلوبية والتفكيكية والسيمولوجية ....) وغيرها من المناهج النقدية الحديثة التي أفرزت جهازا محكما ومتنوعا من المصطلحات التي تنظر إلى القصيدة على أنها بنية من الكلام الدال، تختلف طرائق التعبير فيها من شاعر إلى آخر.

ولقد دفع مفهوم الحداثة النقاد إلى استثمار علوم اللسان والنقد الأدبي؛ من أجل مقارنة النص الشعري بمنهج يسمح بتحديد أدبية الخطاب وبؤرة الفعل الشعري في كل نص إبداعي، ويبدو أن السيميائية منهج يسمح للنقاد بمدى أوسع من التفكير وحرية أكثر في التحليل، ويلقي عليه مسؤولية أكبر، إذ يتطلب الفهم والرؤية والتأويل<sup>4</sup>.

والسيميائية باعتبارها منهجا للتحليل، تعد من أبرز المفاهيم المنهجية التي تمخضت عنها تجربة المناهج الحديثة، وهو مرتبط بالنظرية المنهجية السيميائية العلامة، ولقد غزت الدرس النقدي الحديث، ووفرت له سبل قراءة جديدة ومغايرة، وأكثر عمقا وتعددا وتنوعا راهنت على كثافة النص، وعمق طبقاته، وغنى عتباته، وثرأ معناه وإشكالية خطابه .

مما جعل معظم المناهج النقدية المتداولة تفيد على نحو أو آخر من خصب فضاء السيميائية وحداثة أدواته، وتطور إمكاناته في العمل المنهجي على وفق مقتضيات مفهوم السيميائية وانفتاحاته، وقدرته على شحذ آلياتها وأدوات عملها بإمكانات منهجية إضافية تتيح لها كفاءة عمل إجرائي أعلى، وفرص إنتاج نقدي أفضل.<sup>5</sup>

وتفرع المنهج السيميائي إلى مدارس واتجاهات، مما جعل النقاد العرب يتشعبون ويتشيعون لكل اتجاه على حدة، حيث يشكل "الاتجاه الروسي" ممثلا في الشكلانية الروسية، ومدرسة تارتوتوTartu أولى هذه الاتجاهات، ثم يأتي "الاتجاه الفرنسي" والذي يتفرع بدوره إلى مدارس انطلاقا من الجذور السوسيرية، فبارت Barthe الذي اهتم بالأدب و"ميتز" الذي اهتم بالسينما، وكلا من موان Mounin وبرييطوPreito وبويسنس Buysens الذين اعتمدوا الجانب التواصلية، أي التركيز على الدلائل القائمة على القصيدة التواصلية.

ويلتف كل من ميشيل أريفى Michel Arrivie وكلود شابول وجان كلود كوكي وغريماس Greimas حول مدرسة باريس السيميوطيقية؛ التي اتكأت على أبحاث سوسير وهايمسليف Hyelmslev وبيرس Pirece وفلامير بروب propp Vladimir، وأخيرا "الاتجاه الأمريكي" الذي يتزعمه "بيرس Pirce"، و"الاتجاه الايطالي" الذي يتزعمه امبرتو ايكو وروسي لاندي Rossillandi<sup>6</sup>.

وإذا كانت المدارس الغربية متشعبة في تناولها للمنهج السيميائي ومختلفة في تحديد مصطلحاته، فتحصيل حاصل أن تتشعب منطلقات النقاد العرب المتبنين لهذا المنهج والمتنصرين له، يضاف إلى هذا اختلاف طبيعة النص العربي عن طبيعة النص الغربي، بل إن المبدع العربي يختلف في رؤياه الإبداعية وتوجهاته الفكرية عن المبدع الغربي، وإذا كان الشاعر المبدع يخلق كونا تخيليا، يطفح بأبعاد كونية ورؤية، فعلى القارئ ( الناقد ) الحصيف أن يكون محملا بترسانة من الأدوات الإجرائية التي تمكنه عن طريق التنقيب في سطح النص من اكتشاف الثغرات التي يستطيع من خلالها كشف خبايا النص<sup>7</sup>.

ويعد المنهج السيميائي من مناهج ما بعد البنوية، ولقد وقع اختلاف في تسمية هذا المنهج، حيث إن المتحدثين باللغة الفرنسية يتبعون تقاليد مدرسة "جنيف" التي تزعمها " دي سوسير"، فيطلقون على هذا اللون " السيميولوجيا" ويتبع المتحدثون بالأنجلو سكسونية تقاليد موازنة تعود إلى الأمريكي المنطقي الشهير " شارل بيرس"، فيؤثرون مصطلح " السيموتيك".

أما النقاد والباحثون العرب فيتوزعون على ثلاثة اتجاهات، بعضهم يؤثر مصطلح " سيميولوجيا" وله مبرراته في ذلك لمحاولة التقرب من مصادر الفكر النقدي الحديث، ومنهم من يعتمد على المصادر الأنجلوسكسونية فيفضل كلمة " السيموطيقا"، خاصة وأنها تمضي على النسق نفسه التي كانت تمضي عليه عمليات التعريب، أما الاتجاه الثالث فيبحث في التراث العربي ذاته على الكلمات المناظرة؛ والتي يمكن أن تؤدي بشكل تقريبي الدلالة اللغوية المطلوبة في العلم الحديث، ويقع على السيمياء ويشق منها السيميائية<sup>8</sup>. وتسعى هذه المقاربة الجمالية إلى إبراز أهم القيم التشاكلية على مستوى النص الشعري لبدر شاكر السياب، وذلك باستعمال التماثل، الذي تحدث عنه الباحثون؛

انطلاقاً من أنه سمة من سمات الشعراء؛ لأنهم يجدون في هذا التكرار متنفساً ومعبراً أسلوبياً يضفي نوعاً من الجمال اللغوي.

ثانياً- جماليات التشاكل والتباين في شعر السياب.

إذا كان النص عملية إبداعية والإبداع عملية جمالية، والجمال حالة تعتري المتلقي على اختلاف أصنافه، فإن المنهج السيميائي هو المنظومة التقنية التي يسترشد بها القارئ للنقاد إلى أعماق النص، واستخراج مكوناته<sup>9</sup>، والسيميائية هي « لعبة التفكير والتركيب، وتحديد البنيات العميقة الثابتة وراء البنيات السطحية المتمظهرة صوتياً ودلالياً، وهي تبحث عن مولدات النصوص وتكوناتها البنوية الداخلية، وتبحث عن أسباب التعدد ولاهائية الخطابات وتسعى إلى اكتشاف البنيات العميقة والأسس الجوهرية المنطقية التي تكون وراء سبب اختلاف النصوص والجمال»<sup>10</sup>.

وإذا كان هذا القول ينطبق على العمل الأدبي المعاصر عموماً، فإنه أشد انطباقاً على عمل الشاعر العربي المعاصر الذي يصارع اللاوجود حوله ليجبره على أن يمنحه وجوداً، ويقرع الصمت لتجسيبه الموسيقى المنبعثة من الشعر والثورة والتمرد والتجاوز؛ في علاقة تكاملية تقوم على تحطيم العلاقات الظاهرية المألوفة، لتتحول عناصر الوجود وأشياؤه إلى مجرد مفردات وأدوات في يديه يشكل بها عالمه الشعري الخاص، أو يعيد بها صياغة العالم وفق رؤيته الإبداعية الخاصة.

ولعل شاعر العراق بدر شاكر السياب يمثل هذا النوع من الشعر تمثيلاً جالياً تحديثياً رائعاً، إذ يكتشف المتلقي لقصائده في كل مرة دوالاً تتفجر منها مدلولات توسع مسافة التوتر وتزيد في شعريته، وتتوفر أشعاره على جملة من العلامات السيميائية يصل إليها المتلقي إذا استبطن أعماق هذا الشاعر الموهوب الحس، وبالحدود المعرفية والجمالية في النسيج الشعري بما يحقق التشاكل والتباين في خطابه الشعري.

ويعد غريماس أول من نقل مفهوم التشاكل Isotopie في الدراسات المعاصرة من ميدان الفيزياء والكيمياء إلى ميدان التحليل الدلالي، ومنذ ذلك الوقت تلقفه التيار السيميائي مفهوماً إجرائياً لتحليل الخطاب، حيث يخلق المزج بين العناصر اللغوية

المتنافرة عذوبة وهابة وجوا مقدسا، ويشكل هذا المناخ حتى ولو كان هناك تنافر، وحدة الانطباع على المستوى العاطفي، أما فرنسوا راستي (Rastier.F)، فقد عمم المصطلح ليشمل التغيير، والمضمون، حيث يصبح هناك تشاكلا صوتياً، وتشاكلا نبرياً، وتشاكلا إيقاعياً.

وضمن «دائرة المعنى لمناهج النظرية الفكرية داخل القصيدة الشعرية، وما رافق هذا الانطلاق من تفجر، وخلاف في مستويات وحدود التعبير، وما تحده عملية الانفعال داخل شخصية كل شاعر...»<sup>11</sup>، نعثر في منطق النص الشعري للسياب على مشاهد الريف الجنوبي من العراق، وعلى ضوء خافت يتكشف من خلاله حال الأرق والألم الذي يعانیه، حين يقول:

بعد غد تعود

لأبد أن تعود

وإن تهامس الرفاق إنها هناك

في جانب التل تنام نومة اللحد

تسف من ترابها وتشرب المطر<sup>12</sup>

إن الطفل اليتيم يصحو مؤرقاً من نومه، باحثاً عن أمه، سائلاً عنها، وحين يلح في سؤاله كان ذووه وأقرباؤه يحاولون التخفيف عنه، مؤكدين له أنها تعود غدا وعودتها أكيدة، رغم تهامس الرفاق بأنها ميتة ورحلت إلى الأبد لتنام في قبرها هناك بجانب التل، وهو التهامس الذي يصرف الشاعر إلى التوتر والقلق والصراع النفسي المتزايد مع الزمن انحساراً من غير اتساع، إلا لحظات معدودات مع اللقاء والتخيل والأمل .

وتتبدى ثنائية ( الحياة / الموت ) أساساً متينا للنص الشعري السيابي؛ تنبعث من وجدانه إحساساً واقعاً يأخذ صورة الاغتراب والوحدة والضياع والألم :

هناك حين يهبط الميت في سكون

يسمر العيون

على شمس تنشر الظلام

هناك يستنيم: في محفة الغصون

شذى إذا تنشقته روح ميت غفا

له، ونام

شعوره القديم واستراح للقتام.<sup>13</sup>

يتمظهر الموت في العالم الخارجي حيث يكون الوصف والإخبار عن الحالات والانفعالات خاضعين لما يكشفه البصر " سيمر العيون"، وهو يتأمل الذات المقابلة نافدا فيها، أو لما « تجود به الذات نفسها مفرغة ما بداخلها في أسمع المخاطبين على أمواج حركتي الاستظهار والاستبطان»<sup>14</sup> اللتين يقودهما الشاعر منفردا، لنلج من خلالها أعماقه الدفينة ونعائين شعوره الحزين ليطلع في نفوسنا الرهبة.

وفي شعره صراع نفسي حاد يتقلب بين الحياة والموت واللقاء والفرق؛ ليتعالق الشعور والإحساس في ذات الشاعر مع العالم الخارجي، وليتحول الموت إلى حياة في المرحلة التي تليه " شذى إذا تنشقته روح ميت غفا"، وكلاهما إحساس عميق يجوب جنبات نفسه ثم يتحول من جديد إلى فناء يتسرب من أعماقه إلى فضاء العالم وينشر صده. وتنتفح قصيدة " في السوق القديم" على تركيز شعري يكشف عن حساسية العلاقة التكتيفية بين مقاربات الطبيعة والتشكيل الشعري، على النحو الذي يظهر قابلية الطبيعة على مضاعفة فتنة التشكيل الشعري وجدواه في إبراز سطوته على المشهد البصري التخيلي:

الليل والسوق القديم، وغمغات العابرين:

والنور تعصره المصابيح الحزاني في شحوب،

مثل الضباب على الطريق

من كل حانوت عتيق،

بين الوجوه الشاحبات، كأنه نغم يذوب في ذلك السوق القديم.<sup>15</sup>

إن صورة النور المنتشر من المصابيح تشتغل على إظهار الوجوه الشاحبات لتنتج نغما يذوب فيه السوق القديم، وتركيبية هذه الصور جاءت « مسحوبة موحية بسبب هذه الازدواجية في التخيل، إذ جعل النور الذي يدرك بالبصر شيئا يلمس باليد ويعتصر،

فنقله إلى حاسة اللمس وهو ما يعرف بتراسل الحواس، وجعل المصاييح حزينة، بل وحول فيها الضوء إلى شحوب»<sup>16</sup>، على النحو الذي يخرج فيه النص الشعري من الاستخفاء والحجب، إلى حالة التمظهر والتماهي مع الطبيعة الفاعلة في تحريره.

وتكتسب المحسوسات والماديات في شعر السياب صفات معنوية مجردة، وهي صورة يتبادل فيها الحس والفكر، والمادي والمعنوي، و«تتهارفها الحواجز بين الواقع وما وراء الواقع، فلا يعود ثمة وجود إلا لبصيرة الشاعر التي تستوعب الأشياء والمعاني لتشكّلها من جديد تشكيلا ذاتيا مثاليا»<sup>17</sup>، كما هو الحال في قصيدة " اتبعيني " :

اتبعيني ... هاهي الشيطان يعلوها زهول

ناصل الألوان كالحلم القديم

عادت الذكرى به، ساج كأشباح نجوم

نسي الصبح سناها والأفول

في سهاد ناعس ... بين جفون !

في وجوم الشاطئ الخالي، كعينيك انتظار.<sup>18</sup>

إن المشهد المبني في سياق المد الدلالي المتنامي دراميا " اتبعيني هاهي الشيطان يعلوها زهول" يدفع الذات الشعرية إلى انجاز فعل مكتظ بوفرة دلالية عميقة، ذاهبة إلى الأعماق الباطنية " عادت الذكرى به " لتتجه نحو زرع علامة جديدة " في سهاد ناعس بين جفون" في منعطف مهم من منعطفات الذات الشاعرة .

ويمكن للمتلقي أن يدخل قصيدة " أنشودة المطر " من وحدة التشاكل، هذه الوحدة العاطفية التي تلف القصيدة برمتها، لنقف من خلال تشاكلاتها المتنافرة على المعنى العام، ومدى انسجام النص وتماسكه :

عينك حين تبسمان تورق الكروم

وترفض الأضواء ... كالأقمار في نهر

يرجه المجد ا فوهنا ساعة السحر

كأنما تنبض في غوريهما النجوم ...<sup>19</sup>

تشكل أنشودة المطر حدثاً يحفل بالانطباعات والتشكيل البنائي المتعدد النواظم في الصوت والحضور والظاهرة، والتشاكل الذي يجعل منها نظاماً انضباطياً؛ حيث يتشكل النص الشعري بوصفه لغة مع الأشياء بوصفها واقعا مقررا سلفا، ويكون النص ثاويا وتابعا ومحاكيا، ونحن نستطلع الفكرة المركزية في خواص الخيال السمعي ليتجاوز الإدراك بالحواس إلى منطق الأشياء .

ويصدق النص الشعري السيابي بالتحديث، خاصة وأنه يعي الأزمة السياسية المستعصية في العراق حد القياء، ولقد وجه العناية باللموس إلى الصورة والصوت والظاهرة، ليحدد المستوى الدقيق للعلامة ودراسة مقوماتها الاجتماعية لكي تفصح عن منطقها السياسي والفكري، وضيع العلاقة المنطقية بين الوجود والحقيقة<sup>20</sup> فيقول:

وفي العراق جوع

وينثر الغلال فيه موسم الحصاد

لتشبع الغريان والجواد

وتطحن الشوان والحجر

رحى تدور في الحقول حولها بشر

مطر....

مطر....

مطر....

وكم ذرفنا ليلة الرحيل من دموع

ثم اعتلنا خوف أن نلام مطر

مطر....

مطر....<sup>21</sup>

إن أيقونة السياب الفكرية تحيل العلامة على شيء يشار إليه بشكل واقعي وقانوني وعلى حدود التشاكل ( وفي العراق جوع / موسم الحصاد / حولها بشر/ ليلة الرحيل / خوف أن نلام ) ، وهي دوال تمتد إلى عمق التاريخ السياسي في العراق، حيث « النضج

الفني في شعر بدرزالت هذه اللوحات الوصفية مقدمات مهمة يستهل بها كثيرا من قصائده خاصة مطولاته لا لمجرد الوصف، فلم يعد هو غاية القصيدة وغرضها الرئيس، بل بات وسيلة فنية يرسم بها أجواء المكان والزمان والأحداث، ممهدا لنفسه الشاعر لكي تناسب في رسم رؤاه وتجاريه.<sup>22</sup>

ولقد تغلغل مسافرا في أعماق الأعماق، كاشفا عن عوالم عجيبة تنير ذهن المتلقي الحاذق وتدفعه إلى التفكير العميق، محاولة منه للوصول إلى مرحلة العصف الروحي والنفسي التي عاشها الشاعر، فتمخض عنها عدد لا يحصى من القصائد التي واجه فيها الموت وجها لوجه، وتحول شعره إلى صرخات مباشرة وفلسفة للموت:

نسيم الليل كالآهات من جيكور يأتيني

فبيكيني

بما نفثته أمي فيه من وجد وأشواق

تنفس قبرها المهجور عنها، قبرها الباقي

ودود حيث كان دمي، وأعرافي

هباء من خيوط العنكبوت، وأدمع موتي

إذا ذكر واخطأ في ظلام الموت ... تروني

فما أمشي، ولم أهجرك، أني أعشق الموت

لأنك منه بعض، أنت ماضي الذي يمضي.<sup>23</sup>

يعتز الشاعر بموته ويطمئن نفسه بأنه يمكنه الرقاد، فموته سيبقى صرخة الإنسان في كل مكان وفي كل شارع وصورة في كل مدينة، وفي قلب كل إنسان يعرف معنى التضحية من أجل الوطن ومن أجل عيش وهناء الآخرين<sup>24</sup> في جيكور، وهي صورة ظلت تتكرر في شعر السياب في حديثه عن الموت عبر قصائده المحتفلة بشكل مباشر وآخر غير مباشر حين يرسم صورا إنسانية عامة .

وإذا كان الشعر الحديث قد انفتح في مغامراته الجمالية على آفاق جديدة في مستويات التشكيل والتعبير والتدليل، حيث نجد نوعا من القصائد يقوم على وعي تركيزي وتكثيفي عال يتقصى فيه الشاعر الحدود والإمكانات والرؤى والفعاليات<sup>25</sup>، فإن قصائد

السياب تخوض غمار هذه التجربة الكتابية بوعي نظري ورؤيوي وعاطفي متشابك وضمن حساسية شعرية واضحة التوقد والمعرفة، ولنتأمل مقاطع من قصيدة " الأسلحة والأطفال " :

عصافير؟ أم صبية تمرح؟

أم الماء من صخرة ينضح؟

فيخضر عشب وتندى زهور

زهور ونور

وقبرة تصدح

وتفاحة مزهرة

لخفق العصافير فيها

صدى قبلة- الأم تلقى بينها

دعيني، فما تلك بالقبرة

دعيني أقل: إنه البلبل.<sup>26</sup>

إن عتبة العنوان بمثابة إعلان واضح وصريح وحاسم يتجه إلى الواقع المر بكل قصدية، إذ إن الدالين المتضايفين المؤلفين للعتبة العنوانية " الأسلحة/الأطفال " يشتغلان بخصوصية عالية التمرکز في بؤرة الموضوع وداخل حاضنته التشكيلية، فالدال " الأسلحة " بأنموذجه الحربي الاستدماري يتجه بفضاء التدليل إلى واقع الحرب والدمار والقتل والتشويه، وعالم الأسلحة الذي يجلب للبشرية العذاب .

وحين يضاف إلى دال " الأطفال " ذي صفات البراءة والسلام الأكثر خصوصية وتفردا في عالم الإنسانية، فإنه يكتسب دلالات جديدة تخصص التوجه نحو حقل معين من حقول الحرب، وهو صورة لما ينبغي أن يكون عليه الواقع، وذلك برسم لوحات لعالم السلام مجسدا في الطفولة ومفرداتها الناعمة الوضاعة، والحقيقة أن كل شيء في القصيدة يبدأ بديعا رائقا يطفح بالسلام والطفولة والنشوة من خلال المفردات ( عصافير، صبية تمرح، زهور ونور، تفاحة مزهرة...).

وفي شعر بدر شاكر السياب العديد من الأمثلة التي تواجه القارئ في القصيدة تلو الأخرى؛ لهذا النمط من المفارقات التي أفرزها الواقع المتردي بسبب تسلط المحتل الذي يمتص خيرات البلاد، والتي « تتراكم أحيانا وتتلاحق لتؤدي شتى الوظائف التي تسهم في خدمة موضوع القصيدة، ولعل عناية الشاعر بهذا النمط من الصور هو الذي جعل نتاجه شعرا من الطراز السامي في الشعر العربي الحديث »<sup>27</sup> كما في قصيدة " في القرية الظلماء " حين يقول :

مثل الجليد، على خطوط باهتات، في إطار،  
وعلى الرفوف الشاحبات رسائل  
عادت تلف، على نسيج العنكبوت، بها الوعود  
والريح تهمس، لن يعود  
ويلون المرأة ظل من سراج، ذابل  
الكوكب الوسنان يطفئ ناره خلف التلال.<sup>28</sup>

يثير الشاعر قضية الشعور بالوحدة والاعتراب، وهو يحس بوطأة القيود الاقتصادية والاجتماعية والعاطفية، نتيجة محاولته التطلع واستشراف آفاق تنشله من حالته النفسية المغتربة، وهو عندما ينتصر لغيره من المظلومين اجتماعيا وعاطفيا ونفسيا، ويتعاطف معهم يصب نغمته على المجتمع الذي تسبب في ظلمهم واغترابهم مستدعيا لذلك صورة أخرى خارجية ترصد كل جوانب الشحوب والإهتراء والأفول " فالكوكب الوسنان يطفئ ناره خلف التلال " حيث آخر ضوء خارجي خافت ينطفئ .

ويتأسس النشاط التأويلي للنص الشعري على معنى النطق في بنائه الوصفي تشاكلا وتباينا من حيث التكرار، ولذلك فهو يجري على تعيين الحقول الدلالية والمعجمية، ومنها يتم المرور من المعاني الظاهرة إلى المعاني الخفية القائمة على الاستبدال اللغوي، بما يصنع شكلا ثقافيا خاصا يندرج ضمن الثقافة الكلية التي ينتهي إليها الناطق والمنطوق معا<sup>29</sup>، وعليه سيجري العمل على تتبع التكرار بوصفه فعلا مقصودا يتحقق فيه صراع الواقعين المفروض والمأمول على الحرية والعودة:

يا رب ... مادام الفناء

هو غاية الأحياء: فأمرهلكوا هذا المساء !.

سأموت من ظمأ وجوع

إذا لم يمت - هذا المساء إلى غد - بعض الأنام

فأبعث به قبل الظلام !

.....

ما زالت أسمع بالحروب - فأين أين هي الحروب ؟ ! .

أين السنابل والقذائف والضحايا في الدروب<sup>30</sup>

يتصور الشاعر أن الحروب ستحل مشكلته، كما يمكن أن تقضي في الوقت نفسه عليه إلى الأبد، لهذا كرر اللفظة مرتين، ويتساءل عنها أين هي ؟؟! وهذا تشكل اللفظة نقطة ارتكاز أساسية بوصفها دالا على مكان يرتبط بحال الحزن والاغتراب، وهي صورة ظاهرة تعقب ارتباط الحدث " الموت " بالزمن " هذا المساء إلى غد "، فيعطي التكرار صورة الواقع المفروض في رؤية الموت بقيام دولة الاحتلال والخيانة، ولذلك يسود الحزن والألم ويسود الاختناق والضياع.

لقد اشتملت النصوص الشعرية لبدر شاكر السياب على الرؤيا وطريقة المزج في البناء التقني للصورة والنظم وصياغة الجمل ودلالاتها في مبنى عضوي يقضي إلى طريقة تعبيرية ينقل فيها صيغة المعنى في صياغة بيانية، وهي مزية تشرح دلالات الألفاظ واختلاف مواضعها ومواقعها في الجمل<sup>31</sup>، ولعل هيمنة الشعور بالاكنتاب عليه وانغماره فيه جعله قادرا على هذا المزج في البناء التقني للصور، كما في قوله :

على جواد الحلم الأشهب

أسريت عبر التلال

أهرب منها، من ذراها الطوال،

من سوقها المكتظ بالبائعين،

من صبحها المتعب

من ليلها النابج والعابرين،

من نورها الغيب،

من موتها الساري على النهر

يمشي على أواجه الغافية.<sup>32</sup>

يعتمد الشاعر على الموازنة بين المشاهد، وهي صيغة تتعالق بالنسيج الشعري؛ حيث تبدأ القصيدة بصورة تشخيصية للحلم حين يحوله إلى جواد أشهب، واختار له اللون "الأشهب" ليرهص أنه حلم مشرق منير منذ البداية، يمتطيه ليسري به عبر التلال إلى جيكور هروبا من المدينة، ومن سوقها المكتظ بالبائعين ومن ذراها وصبحها المتعب وليها النابح... وفي ذلك احتقار للمدينة وكرهه لها مقابل حبه الجم لمربع الصبا " جيكور "

خاتمة:

من هذا المنطلق جعل السياب عملية الإبداع الفني عنده تتميز بأنها عملية معقدة، تتداخل فيها عناصر متعددة، ومن هذه العناصر اللغة التي تظهر فيها القصيدة، فالشاعر لا يصل إلى معنى ثم يبحث عن لفظه، ولكن الوثبة تأتيه بلفظها ومعناها، وتأتيه منظومة غالبا، كما أنه لم يكن مدفوعا بتوتراته إلى استجلاء معنى معين أو صورة معينة بل كان مدفوعا إلى هذا الكل الذي هو معان وصور وألفاظ موقعة.<sup>33</sup>

أضف إلى ذلك خصوصية المقاربة السيميائية لنصوصه الشعرية، وما طرحته من إمكانات التأويل بشتى الآليات ووقف الحدود التي يسمح بها، فتعين ما يخصه معنى وانفعالا. كما تعين ما يشمله وغيره آليات وحدودا ومستويات، رصدت التشاكل والتباين ووقفت على الخطاب البصري المتحرك والثابت في أزمنة مختلفة، زمن الألم والموت والفاء، وزمن الحلم والأمل والحنين، وزمن الثورة والرفض والهوية والوطن، وقد ارتبطت بمواقفه من وطنه العراق ومن العالم ومن الاستدمار؛ حيث اجتمعت الذات والوطن والأمة والحبيبة... وغيرها.

ثم إن محاولة مواجهة النص الشعري لبدر شاكر السياب بآليات المنهج السيميائي الإجرائية، تقتضي القبض على بعض جماليات الخطاب الشعري العربي المعاصر، ممثلة في فك شفرة العنوان والفضاء الدلالي، وشعرية التشاكل والتباين والتوازي والتكرار

وتراسل الحواس ... إلخ، إضافة إلى إدراج نسق العلامات الشعرية ضمن التجربة القرائية لفضاءات القصائد لتضمن لها الخصوصية والفرادة والتميز.

الهوامش:

1 - محمد صابر عبيد: العلامة الشعرية " قراءات في تقانات القصيدة الجديدة " .عالم الكتب الحديث: إربد. ط1. 2010 م . ص1. 2 - حسن الطربيق: القصيدة العربية الحديثة والمعاصرة بين الغنائية والدرامية. كلية الآداب والعلوم الإسلامية: تطوان. 2005م. ص 390.

3 - علاء هاشم مناف: التحديث في النص الشعري " دراسة نقدية في شعر بدر شاكر السياب " . دار الرضوان للنشر والتوزيع: عمان. مؤسسة دار الصادق الثقافية: العراق. ط1. 2012 م . ص 11 .

4 - شادية شقرون: سيميائية الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح للشاعر عبد الله العشي. عالم الكتب الحديث: إربد. ط1 2010م . ص 1 .

5 - مجموعة من المؤلفين: سيميائية الخطاب الشعري من التشكيل إلى التأويل " قراءات في قصائد بلاد النرجس " . دار مجدلاوي للنشر والتوزيع: الأردن. ط1 . 2010 م . ص 9 .

6 - شادية شقرون : سيميائية الخطاب الشعري. ص 1 - 2 .

7 - المرجع نفسه. ص 2.

8 - صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر. دار الآفاق العربية: القاهرة. ط 1 . 1997 م . ص 115 - 116 .

9 - شادية شقرون : سيميائية الخطاب الشعري . ص 14 .

10 - محمد مفتاح: التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية. المركز الثقافي العربي: بيروت. ط2. 1996 م . ص 35 .

11 - علاء هاشم مناف : التحديث في النص الشعري . ص 16 .

12 - بدر شاكر السياب : الديوان . دار العودة: بيروت. 1989 م . ص 161 .

13 - المصدر نفسه . ص 52 .

14 - أحمد عمار مداس : السيميائية والتأويل " دراسة إجرائية في آليات التأويل وحدوده ومستوياته " . عالم الكتب الحديث : إربد . ط 1 . 2011 م. ص 77 .

15 - بدر شاكر السياب : الديوان. ص21.

16 - إيمان محمد أمين الكيلاني : بدر شاكر السياب " دراسة أسلوبية لشعره " . داروائل للنشر والتوزيع: عمان. ط1. 2008 م. ص 22 .

17 - محمد أحمد فتوح: الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر. دار المعارف: القاهرة. ط3. 1984م. ص 139 .

18 - بدر شاكر السياب : الديوان. ص1-2.

- 19 - المصدر نفسه. ص 474 .
- 20 - علاء هاشم مناف : التحديث في النص الشعري . ص 33 .
- 21 - بدر شاكر السياب : الديوان. ص 477 .
- 22 - إيمان محمد أمين الكيلاني : بدر شاكر السياب . ص 32 .
- 23 - بدر شاكر السياب : الديوان. ص 672 - 673 .
- 24 - حنان بومالي : تجربة الموت في شعر نور الدين درويش " قراءة في ديوان مسافات " مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . العدد 30. جوان 2012 م . ص 255.
- 25 - محمد صابر عبيد : العلامة الشعرية . ص 93.
- 26 - بدر شاكر السياب : الديوان. ص 563.
- 27 - إيمان محمد أمين الكيلاني : بدر شاكر السياب . ص 61.
- 28 - بدر شاكر السياب : الديوان. ص 95.
- 29 - أحمد عمار مداس : السيمياء والتأويل . ص 239.
- 30 - بدر شاكر السياب : الديوان. ص 6 - 7.
- 31 - علاء هاشم مناف : التحديث في النص الشعري . ص 35.
- 32 - بدر شاكر السياب : الديوان. ص 420.
- 33 - حسن توفيق : شعر بدر شاكر السياب " دراسة فنية وفكرية " . دار أسامة للنشر والتوزيع:الأردن. ط2 . 2009 م . ص 276 .

\*\*\* \*\*